ترسيخ النبي (صلى الله عليه وسلم) لأسس التعايش السلمي بين البشر

الجمعة ١٤ من المحرم ١٤٣٦هـ - ٧ من نوفمبر ٢٠١٤م

أولا: العناصر:

١. مراعاة الإسلام للبعد الإنساني.

٢-التعايش السلمي بين طوائف المجتمع المدني بعد الهجرة .

أ-المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ب -وثيقة المدينة

٣. منهج الإسلام في حل الخلافات :

- عدم التنازع - ضرورة الحوار.

- العدل - الصلح - العفو.

٤. ضرورة التعايش السلمي .

٥. أثر التعايش السلمي على المجتمعات .

ثانيا : الأدلة من القرآن الكريم :.

١-يقول تعالى : " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (الأنفال ٦٣) .

٢-ويقول تعالى : " وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ..." (ال عمران ١٠٣) .

٣. يقول تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ " البقرة(٢٠٨).

٤. ويقول تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" الحجرات (١٣) .

٥. ويقول تعالى : " وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأنعام (١٠٨) .

٦ . ويقول تعالى: " وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " الأنفال(٤٦)

٧ . ويقول تعالى " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " النساء (١١٤) .

٨. وقال تعالى : " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الممتحنة (٨) .

٩ ـ وقال تعالى : " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " (العنكبوت: ٤٦) .

١٠ ـ وقال تعالى : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" (الإسراء ٧٠) .

ثالثا : الأحاديث والآثار :ـ

١ـ عن عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (أخرجه أبو داود) .

٢ـ وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» (أخرجه أبو داود) .

٣ـ وعن أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)يَقُولُ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» متفق عليه .

٤- وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» متفق عليه .

٥ ـ وعن سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ كانا قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا» متفق عليه.

الموضـــــــــــوع

يقيم الإسلام العلاقة بين البشر جميعًا على أساس التعارف والتآلف والتعايش السلمي ذلك لأن أصلهم واحد قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (الحجرات ١٣) فالناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وعقائدهم إخوة في الإنسانية تنشأ بينهم علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية قوامها التعارف والتآلف ، نلمح هذا من خلال تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع مجتمع المدينة فقد أسس نظاماً عاماً أساسه التعايش السلمي بين الناس جميعا، والمسلمون اليوم في بلادهم، ومع من يعيشون معهم من مختلف الطوائف والملل، والنحل هم في أشد الحاجة إلى هذا المفهوم مفهوم أن تعيش مع الآخر في سلام وأمان .

لقد هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة فوجد مزيجاً إنسانياً متنوعاً من حيث الدين ، والانتماء ومن حيث نمط المعيشة، فهناك الأوس والخزرج قبيلتان متناحرتان ، وقبائل اليهود الثلاثة بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة والأعراب الذين يساكنون أهل يثرب والموالي والعبيد وغيرهم إضافة إلى العنصر الجديد من المهاجرين الذين هاجروا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فكيف وفق النبي (صلى الله عليه وسلم) بين كل هذه الطوائف والعناصر ؟ وبين هذه الاتجاهات وتلك الأديان بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ، ناهيك عما كان بينهم من خلافات ؟فهذا الذي نحن في أمسّ الحاجة إليه في وقتنا الحاضر.

إن الاختلاف بين الناس سنة من سنن الله عز وجل ، فهم مختلفون في معظم الأشياء قال تعالى: " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ " (يونس ١١٨) فهذا الاختلاف من سنن الله تعالى فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وهو دليل على أن الله منح عباده حرية الاختيار وهذا يلزمنا باحترام الاختلاف وتقديره فهو من صنع الله تعالى الذى أتقن كل شيء خلقه، وليس لنا أن نتأله على الله أو نفتئت على حكمه ويجب علينا التعامل فى الحياة مع كل الناس على اختلاف أفكارهم وتباين عقائدهم على هذا الأساس ، ووفقًا لما خلق الله تعالى دون السعى إلى الإقصاء للمختلفين معنا .

كما أن الإسلام لا يُكره أحدا على الدخول فيه قال تعالى "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " البقرة(٢٥٦) ذلك لأن حرية الاعتقاد كفلها الإسلام لبني البشر جميعًا والله سبحانه وتعالى هو الذي سيحاسبهم ، فالاختلاف إذن هو من سنن الله تعالى فى خلقه وفطرته التى فطر الناس عليها فسيبقى فينا مادامت السماوات والأرض وسيبقى منا المؤمن ومنا الكافر ومنا المطيع والعاصى ومنا التقى والفاجر إلى أن يشاء الله ولم ولن يملك أحد تغيير هذا التنوع والاختلاف ، ويجب أن يُقرّ الناس جميعًا وفى

مقدمتهم المسلمون، ويعترفوا بهذا الاختلاف والتنوع قال تعالى " وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ " (يونس ٩٩) .

ولقد أوجب الإسلام الإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين قال تعالى "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" البقرة (٢٨٥) ، وألزمنا بعدم السب أو التعرض لأصحاب الديانات الأخرى بما يسيئ لهم أو لمعتقدهم فقال تعالى "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الأنعام (١٠٨) .

ولقد أمر الإسلامُ أتباعَه بالمحافظة على كرامة غير المسلمين ومراعاة مشاعرهم حتى في موطن الحوار أو الجدل أمرنا بأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن فقال تعالى :(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [العنكبوت: ٤٦] .

إن حِفْظ الكرامة الإنسانية يتجلَّى لنا في التعامل النبوي مع غير المسلمين ،فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعامل كل الناس مسلمين وغير مسلمين باحترام لحقوقهم وحرياتهم، فقد أرسى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مبادئ التعايش والاحترام المتبادل وحقوق الإنسان بين كل طوائف المجتمع منذ نشأة الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة بعقد الوثيقة التى أبرمها مع يهود المدينة وغيرهم، فقد أعطى اليهود كل حقوق المسلمين فى الأمن والسلام والحرية والدفاع المشترك ومن بين بنودها المهمة « وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ (أَيْ يُهْلِكُ) إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ،» وجاء فيها كفالة حرية الدين والأمن والدفاع المشترك ضد أى معتد على المسلمين أو على اليهود (كتاب الأموال لأبي عبيد) .

وهذا يعنى أن الدولة الإسلامية تتسع للجميع مسلمين وغير مسلمين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا بشرط الالتزام بالضوابط المجتمعية التى تحفظ للجميع الحقوق والواجبات وفى مقدمتها السلم وعدم الاعتداء وعدم خرق بنود العقد الاجتماعى «الدستور» الذى ينظم العلاقة بين الناس جميعا.

ولما كان للاختلاف بين الناس من أثر قد ينشأ عنه بعض النزاعات والاختلافات التي تهدد السلم والأمن فقد وضع الإسلام منهجا قويما لحل هذه النزاعات والتي منها الاعتراف بأن الاختلاف سنة ،وليس من حق أحد أن يدعي أن الحق والصواب في جانبه، والاتفاق مسبقًا على آلية لحل النزاعات ، والبعد عن أسباب النزاع بقدر الإمكان قال تعالى " وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" الأنفال(٤٦) .

والمتأمل لحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وتعامله مع الناس يقف على المنهج العملي والخلقي لمواجهة النزاعات والخلافات ويتضح ذلك في موقفه من النزاع بين الأوس والخزرج بعد الهجرة النبوية ، ومثله ما حدث من بعض الأنصار حين وجدوا في أنفسهم من توزيعِ النبي (صلى الله عليه وسلم) وعطائه الجزيل للمهاجرين وبعض قبائل العرب وعدم إعطائهم يوم غزوة حنين من الغنائم حتى قالوا: إنَّ هذا لهو العجب يُعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، وأيضًا ما حدث في صلح الحديبية فلقد كان معظم الصحابة(رضوان الله عليهم) بين رافض وموافق على هذا الصلح وضاقت صدورهم بشروط قريش المجحفة لهم ، وكذلك موقف الرسول(صلى الله عليه وسلم) في قصة سيدنا حاطب بن أبي بلتعة عند فتح مكة ، فلقد اتبع النبي (صلى الله عليه وسلم) في حل هذه القضايا والمشكلات وغيرها منهجًا غاية في الرقي والسمو والشفافية . كما ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في أدب العرض وأدب الحوار وأدب الاختلاف أثناء هذه المشكلات وغيرها .

وكذلك من أهم ما يميز المنهج الإسلامي في حل الخلافات : العدل الذي هو الإنصاف، وإعطاء المرء ما له، وقيامه بما عليه، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بالعدل وتحث عليه وتدعو إلى التمسك به يقول تعالى: { إِنّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى } [النحل: ٩٠] ويقول تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } [النساء: ٥٨] العدل مع كل الناس جميعا فالمسلم مطالب بأن يعدل مع جميع الناس سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، فالله يأمر بعدم إنقاص الناس حقوقهم، قال تعالى " ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ } [الشعراء: ١٣] ، وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى " [المائدة: ٨] أي: لا تحملكم عداوتكم وخصومتكم لقوم على ظلمهم، بل يجب العدل مع الجميع سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء، ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على العدل مع غير المسلم وعدم ظلمهم في أحاديث كثيرة منها ما أخرجه أبو داود في سننه عن عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)قَالَ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ولقد سار على هذا المنهج النبوي في العدل مع غير المسلمين الخلفاء الراشدين فعليّ (رضى الله عنه) فقد دِرْعَهُ عِنْدَ رَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى شُرَيْحٍ يُخَاصِمُهُ، فَقَالَ شُرَيْحٌ لِلنَّصْرَانِيِّ: مَا تَقُولُ فِيمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: مَا الدِّرْعُ إِلَّا دِرْعِي وَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدِي بِكَاذِبٍ، فَالْتَفَتَ شُرَيْحٌ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ؟ فَضَحِكَ عَلِيٌّ وَقَالَ أَصَابَ شُرَيْحٌ، مَا لِي بَيِّنَةٌ، فَقَضَى بِهَا شريح للنصراني، قال فأخذه النصراني ومشى خطا ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنَّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه يَقْضِي عَلَيْهِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدِّرْعُ وَاللَّهِ دِرْعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اتَّبَعْتُ الْجَيْشَ وَأَنْتَ مُنْطَلِقٌ إِلَى صِفِّينَ فَخَرَجَتْ مِنْ بَعِيرِكَ الْأَوْرَقِ. فَقَالَ: أَمَا إِذْ أَسْلَمْتَ فَهِيَ لَكَ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ.(البداية والنهاية لابن كثير).

وقد أعلن القرآن الكريم براءة يهودي اتهمه مسلم بالسرقة فنزلت آيات القرآن الكريم تنفي عنه ما اتُّهِم به زورًا فقال تعالى " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا *وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا *هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا " (النساء : ١٠٦، ١٠٩) . ومنه أيضاً قصة القبطي مع عمرو بن العاص والي مصر وابنه، وقد اقتص الخليفة للقبطي في مظلمته، وقال مقولته التي أضحت مثلاً: "يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ (فتوح مصر لابن الحكم) .

وفي أحيان أخرى لم يأخذ المسلمون العدل من خصومهم، بل عفوا وتجاوزوا كما جرى زمن معاوية بن أبي سفيان حين نقض أهل بعلبك عهدهم مع المسلمين، وفي أيدي المسلمين رهائن من الروم فامتنع المسلمون من قتلهم، ورأوا جميعاً تخلية سبيلهم، وقالوا":وفاء بغدر خير من غدر بغدر". قال هشام: وهو قول العلماء، الأوزاعي وغيره. (فتوح البلدان)

ومن أهم ما يميز المنهج الإسلامي في حل الخلافات الإصلاح بين الناس ، فالإصلاح بين الناس يدعم التعايش السلمي ويبقي على المودة والمحبة بين الناس قال تعالى " فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (الأنفال :١) وقال تعالى " لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " النساء (١١٤) ، فقد حض القرآن على الإصلاح بين الناس سواء أكانوا جماعات أم أفرادًا لأن التخاصم والتنازع يؤدى إلى انتشار العداوات والمفاسد بين الناس.وقد جعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) للإصلاح بين الناس درجة أعلى من درجة الصيام والصلاة والصدقة فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» (أخرجه أبو داود) ، بل رخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الكذب إذا كان بقصد الإصلاح بين الناس فعن أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» ، والمتتبع لسيرته الشريفة يجد أنه(صلى الله عليه وسلم)كان يميل إلى الصلح وإن كان فيه بعض الإجحاف تغليبا للمصلحة العليا وحقننا للدماء وهذا الذي حدث في صلح الحديبية .

ومن أهم ما يميز المنهج الإسلامي في حل الخلافات : العفو فما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة مع أهلها الذين آذوه وأخرجوه لهو خير دليل قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ،. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ

الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ٤٩: ١٣ ... الْآيَةَ كُلَّهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ» (السيرة النبوية لابن هشام) .

فهذا هو منهج الإسلام الذي يدعو إلى التعايش مع الآخر والحفاظ على حقوقه وحرماته وتأمين المجتمع وقيمه مما يهدد أمنه وسِلْمَه ويحافظ على الأصل الذي على أساسه تُبنَى المجتمعات وهو التعارف والتآلف والتعايش السلمي .

إنّ التعايش مع الآخر ضرورة إنسانية ودينية وأخلاقية ومجتمعية، والمتتبع لنصوص الشرع الحكيم يجد أنها تحث على التعايش مع الآخر طالما كان هناك احترام متبادل ومراعاة للحقوق والواجبات قال تعالى " لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الممتحنة (٨) . قال ابن كثير : أَيْ لَا يَنْهَاكُمْ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْكَفَرَةِ الَّذِينَ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ فِي الدِّينِ، كَالنِّسَاءِ وَالضَّعَفَةِ مِنْهُمْ، {أَنْ تَبَرُّوهُمْ} أَيْ: تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ {وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} أَيْ: تَعْدِلُوا {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.

ولقد حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على الإحسان إلى الوالدين وإن كانا مشركين فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» متفق عليه .

ولقد كرم النبي (صلى الله عليه وسلم) النفس الإنسانية أيا كان انتماؤها أو اعتقادها أيّما تكريم حتى وهى في حال الموت فعن سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ كانا قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا» متفق عليه . والقرآن الكريم كرم الإنسان من حيث إنه إنسان أيا كان انتماؤه فقال تعالى " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" [الإسراء (٧٠)] . فقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأحسن صورته ومنحه العقل والعلم والمعرفة والاختيار .

إن مظاهر تكريم الإسلام للإنسان من حيث هو إنسان أكثر من أن تحصى، فالاختلاف الفطري بين الناس يمكن أن يثري الحياة ويمد جسور التعاون والتعارف بين البشر إذ الإنسان مدني بطبعه لن يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين والحياة تتطلب هذ التعاون قال تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [الحجراتُ ١٣:] .

قال الشاعر :

النَّاسُ للناسِ مِن بدوٍ وحاضِرَةٍ بَعضٌ لبعضٍ وإنْ لَم يشعروا خَدَمُ

إن التعايش السلمي مع الآخر والذي يدعو إليه الإسلام جدير بأن يحقق للجميع السعادة والأمن والاستقرار والتقدم ويخلق جوا من التسامح والتحاب والتعاون الذي هو أحوج ما تكون البشرية إليه الآن .